فى التيـــه!

للأستاذ سيد قطب

شيطان الحقيقة

لا تقرب . لا تقرب . إنها هكذا جميلة !

ماذا تريد ! أتبغى أن تحقق فيها ، وأن تمتحن صدق النظرة البعيدة ؟

كلا . كلا ! إننى لأشفق أن تبديها النظرةُ القريبة شوهاء ، أو أن تظهر بها بعض الندوب والخدوش !

هى جميلة هكذا ونحن من بعيد ؛ فماذا نبغى غير أن نراها جميلة ؟

الحقيقة ؟! ويحك ! ومن أدراك أنها تبدو دائماً على مقربة ؟ ولم تكون الحقيقة هى التى نراها على هذا البعد البعيد ؟ وهبها ليست كذلك ، فماذا يضيرنا ؟ ولماذا نصر على رؤيتها عن كثب إذا كانت من بعيد تبدو لنا جميلة ؟

إن قصارى ما تستطيع الحياة أن تهبنا إياه أن تبدى لنا الأشياء جميلة . فلماذا نصر نحن على نبذ هذه النعمة بحجة البحث عن الحقيقة ؟

ألا ويح هؤلاء الفانين فى العالم الأرضى المحدود ! إن الشيطان قد نفس عليهم نعمة الوهم التى منحتها إياهم السماء ، فجعل يوسوس لهم باسم الحقيقة ، ليخرجهم من هذا النعيم ، وهم يحسبون أنفسهم الرابحين !

جمال الظلال

هذا المخلوق الشائه القبيح . هأنذا أرى ظله جد جميل ! إنه يقفز فى رشاقة ويتراءى فى رواء . إنه يثنى ذات اليمين وذات الشمال كتمثال حى من تماثيل الجمال . إن هذا الظل ليبدو طليقاً من قيود التقاسيم والألوان

أهذه الطلاقة يا ترى هو جميل ؟

وهذه الشجرة الباسقة النامية ، إنها جميلة ولا شك ، ولكن ظلها أجمل ! إن حركاته أرشق ، وخطراته أشف ، إنه يتمايل هكذا وهكذا فى شبه حرية لا تتمتع بها الشجرة

أهذه الحرية يا ترى هو جميل ؟

ما الجمال ؟ إنه الحرية ، إنه الطلاقة . إنه الانطلاق من الأوضاع والأشكال والتقاسيم والحدود

أهذا يبدو الخلود جميلاً لأنه غير محدود . لأنه الظل الطليق لهذه الحياة المقيدة ؟ أهذا يخلق الناس الآلهة ؛ أهذا يركنون إلى الإيمان ؟

من يدرى ؛ فربما كان خلق الناس للآلهة وركونهم للايمان هما نفسهما الصلة الحقيقية بين الإنسان الفانى المحدود ، والإله الباقى غير المحدود

الاله الطليق

أيها النور ، أأنت طليق ؟ أأنت تفيض حيثما تشاء ، وتنطلق كيفما تريد ؟ أأنت تغمر الكون فى سعة وفيض لا يخشى عليهما النفاد ، ولا تحد من طاقتهما الحدود ؟

لقد كنت أحسبك كذلك ، وكنت سعيداً بأن أحسبك كذلك ، إلى أن قرأت وعرفت ! عرفت أنك خاضع ـ ككل مظاهر الطبيعة ـ للقانون ، عرفت أنك مقيد بالناموس

وا أسفاه ! إنك أيها النور كائن محدود !

وا أسفاه ! لقد تقصيت مظاهر هذا الكون ، وحصرت أملى فيك ـ أيها النور ، لأنك أنت الوحيد من بينها الذى كنت تخيل إلىّ أنك طليق !

ثم ماذا ؟ ثم ها أنت ذا غير طليق !

والهفتاه ! أليس هنالك غير المحدود ؟ ما أحوج القلب البشرى إلى هذا اللانهائى . إنه يفقد أعز عقائده وأجل أمانيه حين يفقده

ماذا ؟ أليس هنالك عزاء ؟

بلى ، هنالك عزاء وحيد . هنالك الإله . الإله الذى لا أول لوجوده ، ولا آخر لامتداده . الإله الطليق من جميع القيود

أهذا الإله العظيم

إنى أحبك ! أحبك لأنك « غير المحدود » الوحيد فى هذا الوجود . أحبك لأنك الأمل الوحيد للقلب الإنسانى حين يضيق بالحدود !

قيود الملك

متى تستطيع الكائنات أن تكون شيئاً آخر غير « المالك » و « المملوك » ؟

إن « المِـلْك » قيد من قيود الفناء يتنزه عنه الخلود . إن المالك ليس أقل تقيداً بما يملك من المملوك المقيد بمن يملك ، وإن نسبة الترابط بينهما لهى واحدة أو تكاد

إن الطبيعة حين ولدت أبناءها جميعاً ، تسربت فيهم جميعاً فهم أجزاء متكاملة ، كل جزء منهم يحمل جزءاً من الفكرة التى خلقوا ليعبروا عنها . إنهم متكاملون أو متداخلون ، ولكنهم ليسوا مالكين ومملوكين !

كم بت أكره المِـلْك المتحيز حتى فى الحب . لا أريد أن تكون هذه (لى) أو تلك . أريد أن أكون عابداً . أن أنظر من بعيد إلى الهالات الإلهية المرتسمة حولها دون أن أمد يدى إلى شىء منها . أريد أن تغمرنى غبطة شاملة . أريد أن أحس بالكمال الذى لا يحتاج ، وبالرضى الذى لا يطلب ، وبالإشراق الذى لا شعائر فيه !

تطهير الصنم

قال لى صاحبى — وقد رآنى أدافع عنها بحرارة ضد نفسى وأدفع عنها كل ما قد رميتها به من قبل — : ويحك ! أهى نكسة إليها بعد كل ما كان ، وهل نويت الرجوع ؟

قلت : كلا ! لم أنو شيئاً ، والرجوع — بعدُ — مستحيل . إنما أريد تطهير الصنم ، كيما أتوجه إليه بالعبادة ؟ فما أنا بمستطيع أن أعبده — وهو ملوث — وما أنا بقادر على البقاء بلا عبادة!

إنها يا صاحبى لم تخسر شيئاً بهذه الشكوك التى أحطتها بها ، والتى حسرت عنها هالاتها المقدسة فى نفسى ؛ إنما أنا الذى خسرت : خسرت الإيمان وخسرت المعبود ، وخسرت القبلة التى أتوجه إليها

أو تحسب يا صاحبى أن الآلهة يفيدون شيئاً من عبادة المؤمنين ، أو يخسرون شيئاً من تولى الكافرين ؟ كلا يا صاحبى إنما يكسب ويخسر أولئك الفانون الذين فطروا وفى قرارة نفوسهم ميل إلى الإيمان ، هو غذاء أرواحهم المعذبة ، ومستقر قلوبهم الحائرة .

والرسل والأنبياء يا صاحبى ! أتحسب أنهم ينشئون الإيمان فى هذه القلوب إنشاء ؟ كلا ! إنما يحاولون فقط أن يردوا إليها الثقة والحرارة حين تخبو حرارتها ويتطرق الشك إليها ، فيما كانت تعبد من قوة فى السماء ..

آه يا صاحبى ! لو أستطيع أن أغمض عينى مرة أخرى فلا ترى ! ولكنها جناية المعرفة . جناية الوعى المتيقظ ، جناية هذا العقل الإنسانى الذى يسلبنا سعادة الإيمان ، ثم لا يعوضنا إلا شقوة الشكوك .

لست أبغى الرجوع أيها الصديق ؛ إنما أبغى قداسة الصنم المعبود . فهل فهمتنى الآن ؟ أستغفر الإيمان . أعنى هل أحسست ما يختلج فى نفسى من أحاسيس ؟

الانسياب

أتدرى فيم أكتب إليك ؟ إنه أمر غريب حقا ! إننى فى حاجة إلى من يرد علىّ إيمانى بشعر « الحالات النفسية » . إننى لفى شك مؤلم فى هذا النوع من الشعر الذى أصبحت أراه محدود الآفاق .

إننى لا ألجأ إلى هذا الشك راضياً ولا مختارا . لقد أحببت « شعر الحالات النفسية » وآمنت به فترة طويلة ؛ ولقد كان عندى لونا من ألوان المثل الأعلى للشعر الجديد .

فماذا عساى يا صاحبى أريد ؟

أريد الانطلاق . أريد الانسياب فى الطبيعة كأننى ذرة منها لا تحس لها كيانا مستقلا . أريد ألا أحس بالقصد والغاية ، ولا بالحالات الواقعية المحدودة . إننى أكره « الوعى » لأنه نوع من الحدود !

أريد الهالات التى لا حدَّ فيها بين الأضواء والظلال . أنكر شعرى وشعر الكثيرين ، لأننى لا أجد فيه ما أريد . وأخشى ألا يكون بين شعراء العالم من يلبى هذه الرغبة العميقة . من ينساب فى إحساسه وفى تعبيره بلا حدود . أخشى أن تكون الموجة التى تغمرنى ليست سوى شعور غامض غير قابل للتعبير عنه فى لغة البشر المحدودة . إنها إذن تكون كارثة . ألا يوهب البشر نعمة التعبير عن هذا الشعور ؟

(حلوان) سيد قطب

بتاريخ ١٥ — ٦ — ٩٤٣ حكم فى الجنحة ٢٤٢٥ عسكرية الأزبكية سنة ١٩٤٣ بحبس المتهم قلدس بشاى ٣ شهور وتغريمه ١٠٠ جنيه والنشر والتعليق والنلق والمصادرة لصنعه خبزاً أقل من الوزن القانونى فى ١٤ — ٥ — ٩٤٣